

تفسير البحر المحيط

@ 464 فيه ، وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي عنه ، انتهى . .

{ وَاللَّيْلُ إِذَا يَسْرُ } : قسم بجنس الليل ، ويسري : يذهب وينقرض ، كقوله : { وَاللَّيْلُ إِذَا * أَدْبَرَ } . وقال الأخفش وابن قتيبة : يسري فيه ، فيكون من باب ليك نائم . وقال مجاهد وعكرمة والكلبي : المراد ليلة جمع لأنه يسري فيها ، وجواب القسم محذوف . قال الزمخشري : وهو لنعذب ، يدل عليه قوله : { أَلَمْ تَرَ } إلى قوله : { فَصَبَّ عَنَّا يَهُمُّ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ } . وقال ابن الأنباري : الجواب : { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ } . والذي يظهر أن الجواب محذوف يدل عليه ما قبله من آخر سورة الغاشية ، وهو قوله : { إِنَّ لَإِلَيْنَا إِيَّابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَنَّا لَإِذْنَ } حَسَابَهُمْ } ، وتقديره : لإيابهم إلينا وحسابهم علينا . وقول مقاتل : هل هنا في موضع تقديره : إن في ذلك قسماً ، لذي حجر . فهل على هذا في موضع جواب القسم ، قول لم يصدر عن تأمل ، لأن المقسم عليه على تقدير أن يكون التركيب إن في ذلك قسماً ، لذي حجر لم يذكر ، فيبقى قسم بلا مقسم عليه ، لأن الذي قدره من إن في ذلك قسماً ، لذي حجر لا يصح أن يكون مقسماً عليه ، وهل في ذلك تقرير على عظم هذه الأقسام ، أي هل فيها مقنع في القسم لذي عقل فيزدجر ويفكر في آيات الله . ثم وقف المخاطب على مصارع الأمم الكافرة الماضية مقصوداً بذلك توعدهم قريش ، ونصب المثل لها . وعاد هو عاد بن عوص ، وأطلق ذلك على عقبه ، ثم قيل للأولين منهم عاداً الأولى وإرم ، نسبة لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الأخيرة . وقال مجاهد وقتادة : هي قبيلة بعينها . وقال ابن إسحاق : إرم هو أبو عاد كلها . .

وقال الجمهور : إرم مدينة لهم عظيمة كانت على وجه الدهر باليمن . وقال محمد بن كعب : هي الإسكندرية . وقال ابن المسيب والمقبري : هي دمشق . وقال مجاهد أيضاً : إرم معناه القديمة . وقرأ الجمهور : بعاد مصر ، وفا إرم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ممنوع الصرف للتأنيت والعلمية لأنه اسم للقبيلة ، وعاد ، وإن كان اسم القبيلة ، فقد يلحظ فيه معنى الحي فيصرف أولاً يلحظ ، فجاء على لغة من صرف هنداً ، وإرم عطف بيان أو بدل . وقرأ الحسن : بعاد غير ممنوع الصرف مضافاً إلى إرم ، فجاز أن يكون إرم وجداً ومدينة ؛ والضحاك : إرم بفتح الراء وما بعدها ممنوعي الصرف . وقرأ ابن الزبير : بعاد بالإضافة ، إرم بفتح الهمزة وكسر الراء ، وهي لغة في المدينة ، والضحاك : بعاد مصروفاً ، وبعاد غير مصروف أيضاً ، إرم بفتح الهمزة وسكون الراء تخفيف إرم بكسر الراء ؛ وعن ابن عباس والضحاك : إرم فعلاً ماضياً ، أي بلي ، يقال : رم العظم وأرم هو : أي بلي ، وأرمه غيره

معدى بالهمزة من رم الثلاثي . وذات على هذه القراءة مكسورة التاء ؛ وابن عباس أيضاً :
فعلاً ماضياً ، ذات بنصب التاء على المفعول به ، وذات بالكسر صفة لإرم ؛ وسواء كانت اسم
قبيلة أو مدينة ، وإن كان يترجح كونها مدينة بقوله : { لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي
الْبِلَادِ } ، فإذا كانت قبيلة صح إضافة عاد إليها وفكها منها بدلاً أو عطف بيان ، وإن
كانت مدينة فالإضافة إليها ظاهرة والفك فيها يكون على حذف مضاف ، أي بعاد أهل إرم ذات
العماد . .

وقرئ : { إِرْمَ ذَاتِ } ، بإضافة إرم إلى ذات ، والإرم : العلم ، يعني بعاد : أعلام
ذات العماد . ومن قرأ : أرم فعلاً ماضياً ، ذات بالنصب ، أي جعل اذ ذات العماد رميماً ،
ويكون { إِرْمَ } بدلاً من { فَعَلَ رَبُّكَ } وتبييناً لفعل ، وإذا كانت { ذَاتِ
الْعِمَادِ } صفة للقبيلة . فقال ابن عباس : هي كناية عن طول أبدانهم ، ومنه قيل :
رفيع العماد ، شبهت قدودهم بالأعمدة ، ومنه قولهم : رجل عمد وعمدان أي طويل . وقال
عكرمة ومقاتل : أعمدة بيوتهم التي كانوا يرحلون بها لأنهم كانوا أهل عمود . وقال ابن
زيد : أعمدة بنيانهم ، وإذا كانت صفة للمدينة ، فأعمدة الحجارة التي بنيت بها . وقيل :
القصور العالية والأبراج يقال لها عماد . وحكي عن مجاهد : أرم مصدر ، أرم يأرم إذا هلك
، والمعنى : كهلاك ذات العماد ، وهذا قول غريب ، كأن معنى { كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ }
بِعَادٍ { : كيف أهلك عاداً كهلاك ذات العماد . وذكر المفسرون أن ذات العماد مدينة
ابتناها شداد بن عاد لما سمع بذكر الجنة على أوصاف بعيد ، أو مستحيل عادة أن يبنى في
الأرض مثلها ، وأن اذ تعالى بعث عليها وعلى أهلها صيحة قبل أن يدخلها هلكوا جميعاً ،
ويوقف على قصتهم في كتاب التحرير وشيء منها في الكشف . .

وقرأ الجمهور : { لَمْ يُخْلَقْ } مبنياً للمفعول ، مثلها رفع ؛ وابن الزبير :

مبنياً